أبعاد وجمالية الصورة الشعريّة في ديوان " انفجارات" لأحمد حمدي

أ.سارة محفوظ
جامعة البويـــرة – الجزائـر

د. عبد الكريـم محمـودي
جامعـة الجزائـر 2– الجـزائـر

تاريخ الارسال: 12-01-2020 تاريخ القبول:09-02-2020 تاريخ النشر: 31-03-2020

الملخص:

إن الحداثة الشعرية العربية جعلت من النّص مفتوحا لا منغلقا، متداخل البنى لا منفصلا، حتى مفاهيمه الجمالية تغيرت، فالصورة الشعرية باتت أبرز المفاهيم الجمالية التي تتحكم في شعرية النص المعاصر عامة والجزائري خاصة، بحيث طرأ تغير جذري في طبيعتها ووظيفتها وحتى في تركيبها، كما ترتبط هذه الأخيرة بمفهوم الرؤيا، فالشعر المعاصر هو عبارة عن رؤيا في حد ذاتها، وعلى هذا فالسؤال الذي يطرح نفسه في هذا المجال هو أين تكمن جمالية الصورة الشعرية في ديوان أحمد حمدي انطلاقا من النّص اللغوي،هذا بتطبيق المنهج الوصفي التحليلي؟

الكلمات المفتاحية: الصورة الشعرية، الحداثة، الرؤيا، التخييل، التجسيد.

Abstract :

Arab poetic modernity has made the text open, closed, intertwined, not separate, even its aesthetic concepts have changed. The poetic image has become the most prominent aesthetic concept that controls the poetry of the contemporary text in general and the Algerian in particular, so that a fundamental change has occurred in its nature, function, and even its composition, as it is related to This last is in the concept of a vision, as contemporary poetry is a vision in itself, and accordingly the question that arises in this field is where does the aesthetic poetic image in Ahmed Diwan's office lie from the descriptive analytical method ?

Poetic image, modernity, vision, imagination, incarnation.

P-ISSN : 2571-9807 / E-ISSN : 2710-8244

المقدمة:

لقد مست الحداثة الشعرية العربية جُل البنيات التي تُشكل النص، سواء البنيات السطحية أو العميقة، والتطور الحاصل على مستوى النص الشعري المعاصر جعل منه رؤيا، ولعل أهم التشكيلات الفنية التي ترتبط بالجمالية والرؤيا هي الصورة الشعرية، باعتبارها من أهم العناصر البنائية في النّص والتي طرأ على مفهومها تغير جذري مسها ومس أنواعها المتداخلة إلى حد بعيد والسؤال الذي يطرح نفسه هنا :ما هو المفهوم الجديد للصورة؟وما هي أهم أنواعها في ديوان انفجارات لأحمد حمدي وأين تكمن جماليتها الشعرية من خلال النّص؟

2_الصورة الشعرية، في المصطلح و المفهوم:

إن البحث في مفهوم الصورة الشعرية في شعرنا المعاصر، ضرورة لا مناص منها باعتبارها الجوهر الفني لدى الشعراء، خاصة إذا تعلق الأمر بالمكان، إذ تصبح أشد تعلقا و التصاقا به كونها" أهم المداخل لشعرية النص، فالشعر الجميل إنما هو شعر صورة جميلة، باعتبار أنّ الصورة الجمالية التي تتألف بأنحائها لإضاءة النّص واستثمار طاقاته لإيصال الحقيقة الشعرية من المنتج إلى المستهلك"[1].

و الصورة الشعرية في الشعر المعاصر خرجت عن مفهومها القديم الذي ينحصر في التشبيه و الاستعارة والكناية، و التي عرّفها الجاحظ بقوله:" إنما الشعر صياغة و ضرب من التصوير"[2]، و إنما نتحدث عن الصورة الشعرية الحديثة التي تداخلت فيها كل المفاهيم فأصبح من الصعب تحديد مفهوم واضح لها،" حيث أصبحت متداخلة العناصر."[3]

إن الصورة الشعرية الحديثة تجاوزت الصور الجاهزة، وتعدت التراكيب الثابتة فيمـــــا ألفنـــــاه، وثمة تحول واضح في المعجم الشعري في جسارته اللغوية، حيث يلامس السطح المباشر للاستعمال اليومي.[4]

فالصورة الشعرية الحديثة تجاوزت تلك البساطة و الوضوح الذي عهدناه فـــــي الصورة القديمة، فأصبحت" شعورا وجدانيا غامضا بغير شكل، بغير ملامح تناوله خيال المؤلف أو الخيال المركب، فحدده وأعطاه شكله، أي حوله إلى صورة تجسده"[5]، وقد انعكس ذلك الغموض

على الشعر، فأصبحت" تبرز العمل الفني و تنقل الفكر و العاطفة من خلالها، فهـــــي جوهر الشعر و أساس الحكم عليه"[6] باعتبارها تعبر عن نفسية الشاعر المعقدة و المركبة.

لقد أصبحت الصورة الفنية في الشعر المعاصر ،المحور الذي تدور حوله الجمالية، فهي ليست صورة عاطلة مضافة إضافة زائدة متأخرة على الواقع، بل هي رمز يؤلف مع الفكرة كُلا واحدا، بل هي الفكرة نفسها، كما تحيا و تعيش في القرار السحيق مع النفس[7].

فلم يعد لمفهومها الذي عهدناه في القديم أي صدى في الشعر المعاصر، كون القصيدة تحولت من وحدة البيت إلى الوحدة العضوية،"فالصورة تسعى إلى إيجاد الوحدة و إلى تحويل الواقعي إلى مثالي"[8]، كما لم يعد تقديم الصورة بتلك السهولة المعتادة، كونها أصبحت تعبر عن تجربة الشاعر و حياته، فهي تضع الشاعر أمام موقف يحتار فيه في إيجاد الصور التي تعكس تجربته، لذلك يقال أن"تقديم صورة واحدة في الحياة كلها،أفضل من تأليف مجلدات من الكتب"[9].

هذا دليل على قدرة الصورة الفنية على التعبير ،لأنها جامعة لأحوال الشاعر النفسية مـــن جهة، والفنية الجمالية من جهة أخرى، و "أصبحت كذلك تمثل أكبر عون على تقدير الوحدة الشعرية أو تكثيف المعاني العميقة التي ترمز إليها القصيدة"[10].

إن الصورة الشعرية تحمل في طياتها معاني و دلالات و رموزا وظفها الشاعر عمدا،لكي يترك المجال للقارئ لفكها و إدراك معانيها، و من أهم ميزات الصورة الفنية فـــي الشعر المعاصر، أنها تضم مجموعة من الصور الجزئية لكي تشكل صورة كلية جمالية، إذ أن الصور الجزئية لم تعد تشكل قيمة بمفردها، بل لابد من تكامل الصور فيما بينها من ناحية، كما يجب أن تكون الصور الأساسية في البناء الكلي للخطاب الأدبي، متفاعلة معه بشكل جيد[11].

إن الصورة الشعرية تنطلق من الواقع، لكي تعبر عنه بطريقة فنية، فهي جوهر الشعر و أداته القادرة على استكناه جوهر التجربة الشعرية، و تشكيل موقف الشاعر من الواقع وفق

إدراكه الجمالي الخاص[12]، فهي لصيقة بالشعر بل إن الشعر لا يكون شعرا إلا بها،" فهي المنبع الأساس للشعر الخالص"[13].

فالصورة تعبر كذلك عن رؤيا الشاعر و إيديولوجياته، بحيث تجاوزت الواقع لتصبح الرؤيا التي يكشف عنها الشاعر.

إن هذه الرؤيا في الشعر لا تجرده من محتوياته الاجتماعية و التاريخية و النفسية، بل تلحمه بها، وبشكل أشد و أقوى، و لكن بمنطق مخالف و في مستوى مغاير أسمى و أعمق[14]، فهي بهذه الرؤيا تجاوزت الواقع لتصبح" تركيبية عقلية تنتمي في جوهرها إلـــى عالم الفكرة و التصور و الخيال، أكثر من انتمائها إلى عالم الواقع، و هي بذلك لا تظهر على أنها المكان المقيس، بل المكان النفسي...فهي تعبر عن تجربة ما تعبيرا تشكيليا."[15]

الصورة إذن مرتبطة بعناصر عدة، لعل أهمها عنصر الخيال، بحيث نجد باشلار قام بهذا الربط الجمالي بين الصورة و الخيال، إذ يمكن أن نعتبرهمـــا شيئا واحدا، و علـــى هذا الأساس، فالصورة الشعرية ليست حُليا زائفا، بل إنها جوهر فن الشعر، فهي التي تحرر الطاقة الشعرية الكاملة في العالم، وهي ترتقي بالشعر إلى الشعرية.[16]

إنها موطن جمالية الشعر، باعتبارهـــا خيالا، تصويرا، فنا، رؤيا، مشهدا، نفسية مرحـــــة، حزينة...إلخ، حيث أصبحت متداخلة و متشابكة من الصعب فصل عناصرها عن بعضها البعض.

فهي بكل ما تحمله من تعقيد و تداخل تختلف في تشكيلها و تداخلها عن الصورة القديمـــة، فتركيبة الشعر المعاصر تبدو أكثر تعقيدا و تداخلا، كونها أصبحت صورة حيـــة و عميقة و التي ارتبطت ارتباطا عضويا بحالة الشاعر العقلية و العاطفية.[17]

لقد أصبح الشاعر المعاصر حريصا على الاعتناء بالصورة الفنية التي سيوظفها فـــي شعره، باعتبارها"مبدأ الحياة فـــي الشعر و المعيار الرئيس للشاعر و موضـــع اعتزازه

و فخره."[18] فهي بمثابة معيار و قانون إجباري للشاعر، يسير وفقه في شعره، فيعبر هذا القانون عن الشاعر وما فيه من تناقضات نفسية.

3_ أنواع الصورة الشعرية في ديوان" انفجارات" لأحمد حمدي:

إن الاتساع الذي طرأ على مفهوم الصورة الشعرية الحداثية أدى إلى بروز تفرعات شتى على مستوى أنواعها، لذا وجب اختيار الأنواع التي تجلت في ديوان " انفجارات" لأحمد حمدي ، وللتدليل على ذلك يمكن الاستشهاد بقصيدة " تائه في مملكة القلق" التي تضم في جوهرها مجموعة من أنواع الصورة الشعرية، كالصورة الكلية مثلا،و سميت بالكلية لأنها تضم في طياتها جملة من الصور الفنية الجزئية، و اتحادها يشكل الصورة الكلية التي قد تتجلى في مقطع من القصيدة كما قد تتشكل في القصيدة كلها من نقطة البداية إلى النهاية، وتتسم هذه الصورة بالشمولية بحيث لا تفهم إلا من خلال النظرة الشاملة والعامة لها، وهنا يتحقق جمالها بفعل تلاحم الصور الجزئية البسيطة، والتي تضم أربعة مقاطع، يقول في الأول:

..ويدق قلبي!!

آه...لعلك ترتقين جدار حبي.

أنا ضعت في قلقي، ودربي ؛

تلفت مجاديفي،!!

وسرت بدون ركب.

في موجة الأيام،

في قلق الثواني.

يغتالني شكي،

ويعصف بي التحدي،

في زحمة الأيام،

في الطرقات وحدي.

ما من رفيق

في الطريق يشد زندي

أنا ضعت في قلقي ودربي. (19)

المقطع عبارة عن صورة كلية أدرج فيها الشاعر كل مآسيه و أحاسيسه، ولم يعبر عن كل ذلك دفعة واحدة وإنما بطريقة تدريجية وذلك عن طريق الصور البسيطة الجزئية التي شكلت هذه الصورة، فالشاعر في هذه القصيدة وانطلاقا من عتبة العنوان" تائه في مملكة القلق" أراد أن يعبر عن تيهه وضياعه في هذه الحياة بحيث جعل من القلق مملكة وهذا علامة على مدى اتساع هذا الشعور عنده.

من بين الصور الجزئية قوله" تلفت مجاديفي ، وسرت بدون ركب، في موجة الأيام" ، عبر الشاعر عن حالة التيه التي يعانيها في حياته القلقة، فقد ضاعت منه المجاديف التي تعد رمزا للدرب والطريق ، إضافة إلى الركب الذي هو علامة السير اتجاه مسار ما، قد ضاعت منه كل الطرق التي تؤدي به إلى بر الأمان والثبات، وقوله أيضا " يغتالني شكي، ويعصف بي التحدي، في زحمة الأيام" هي صور جزئية تجسيدية قام الشاعر فيها بتحسيس المعنوي كالشك الذي جعل منه إنسانا يغتاله ويقضي عليه، و التحدي الذي حوله من شيء معنوي إلى ريح عاصف يعصف به، وهذا التوظيف ليس اعتباطيا وإنما يحمل دلالات شتى، فمن شدة قلقه على حاله بات يشك في أدق الأمور هذا ما أدخله في تحدي عاصف مع نفسيته من جهة ومع الحياة عامة من جهة أخرى.

ويقول في المقطع الموالي:

..ويتيه عبر البحر ركبي!!

فإذا قلاعي؛

تخب في غبش الضباب.

تترنح السكرى،

وترتاد الغياب

فيضيع في صمت المخاض

وفي احمرار الشمس

هذا السندباد! (20)

يضم المقطع صورا رمزية بحتة، بحيث وظف الشاعر رموزا جعلت من المقطع رمزيا يغلب عليه الجانب الرمزي، وعلى سبيل المثال البحر الذي يعد من أهم الرموز التي يوظفها الشاعر المعاصر، فهو علامة على الاتساع ، وخدمت هذه السمة الموجودة فيه دلالة النص وهي كثرة التضارب النفسي لدية واتساع حجم القلق ، إضافة إلى الضباب الذي خدم بدوره قصد الشاعر وهو أنه بات كل شيء عنده غير واضح، كما وظف رمزا يحمل ثقلا دلاليا وهو السندباد، فهذا الأخير يعد من أبرز الرموز في التراث العربي، فهو رحالة معروف يبحث عن الاستقرار، وأدرجه الشاعر في هذا الصدد ليعبر عن الرحلة النفسية التي يقوم بها قصد العثور عن راحة البال والاستقرار النفسي.

لقد صاحب التيه الشاعر من بداية القصيدة إلى نهايتها ، يقول في الأخير:

ويجف حلقي..!!

فتموت أحلام الطفولة

في المخاض

و أمضع الحسرات في ألم

وأنتظر المحال

فتدندن الكلمات

في شفتي عطشى

بلا ابتسامات ندية..

وأنا أضيع بدون ركبي

أتيه في قلقي

ودربي (21)

يحمل المقطع نبرة أسى جلية، وخاصة في الصورة التجسيدية التي قال فيها " وأمضغ الحسرات في ألم" صورة جزئية ورغم بساطتها إلا أن هذا التجسيد جعل منها ثقيلة الدلالة لأنها ترجمت معاناة الشاعر في بضع كلمات فقط، فباتت الحسرات والآلام تلازمه كلقمة عيشه التي يحيى بها .

وفي قصيدة " مشكلة" يقول:

.. وترسبت في ذكرياتي؛

عينا عصفور،

ينقر في قلبي النور.

وها أنا أصارع الدوار؛

في شراييني يعيش الحزن،

والحب؛

ويمتد الصراع.

وفي لحظة اللاوجود!

وقفت في المونولوج و الحياة،

وعقرب الساعة

في نهاية المطاف.

تململ في بطن الأشياء

ليعبر عيني العالقتين..

بلا أهداب!

في قفص الزمن الضائع

فالعالم في سرداب المجهول

تمخض..

حولني..

مشكلة! **(22)**

يحمل النص صورا جزئية مختلفة الأنماط ؛ كالتجسيد في قوله " وها أنا أصارع الدوار، في شراييني يعيش الحزن ، والحب" وهي في حقيقة الأمر صورة تندرج ضمن التجسيد من جهة والمفارقة من جهة أخرى، أما الأولى فقد جعل الشاعر من الدوار خصما يصارعه، كما جسد الحزن والحب وألصق فيهما صفة العيش والحياة، أما المفارقة فهي من أهم أنماط الصورة الشعرية الحداثية بحيث يتلاعب الشاعر باللغة ويجمع بين المتناقضات باعتبار أن القصيدة المعاصرة تحتاج إلى ذلك الجمع.

فجمع الشاعر بين الحزن والحب ليعيشا في مكان واحد وهو قلب الشاعر ، وكأنه أراد القول أن قلبه بات يضم كل جميل ومؤلم، فهذا الجمع بين التضاد دلالة على الخلط الشعوري الذي يعيشه المبدع والذي يبين حالة اللااستقرار النفسي الذي يعيشه، فيقول " ويمتد الصراع، وفي لحظة اللاوجود، وقفت في المونولوج والحياة، وعقرب الساعة... تململ في بطن الأشياء ليعبر عيني العالقتين بلا أهداب" هو تصوير فني دقيق من قبل الشاعر، فالصراع الذي كان في البداية زاد وامتد واشتد أكثر لدرجة أن الشاعر بات يخاطب نفسه من شدة هذا الدوار النفسي، ففي لحظة اللاوجود وهي بلوغه ذروة الإلهام الشعري ووصوله إلى الرؤيا الشعرية قام بتخيل شخصية شعرية وهمية.

لقد سيطر عنصر الزمن على هذه القصيدة، فارتبط هذا الأخير بالصورة الشعرية أيما ارتباط، بحيث قام بتصوير زمني يغلب عليه الجانب التخييلي، فكيف لعقرب الساعة أن يعبر عينين عالقتين بلا أهداب؟ فالنص إذن بصوره الفنية المختلفة عبر مثلما قال الشاعر في العنوان عن مشكلة وهي مشكلة الذكريات العالقة في ذهنه والتي تعد سببا في الصراع النفسي الذي يعيشة، لأن التذكر و عودة الذاكرة للوراء غالبا ما يصحبه الشعور بالألم.

4-خاتمـــــة:

انطلاقا مما سبق يمكن الخلوص إلى النقاط التالية:

_ إن مفهوم الصورة الشعرية الحداثية في الشعر العربي المعاصر عامة والجزائري خاصة قد تغير مقارنة بالصورة الشعرية القديمة، وذلك لأن الصورة المعاصرة خرجت من ضيق التشبيه والاستعارة إلى اتساع الرؤيا والتجربة الشعورية فباتت متداخلة العناصر، كما تتداخل مع التشكيلات الفنية للقصيدة كالتشكيل البصري واللغة الشعرية وغيرها.

_ للصورة الشعرية المعاصرة أنواع كثيرة ولعل أبرزها الصورة الكلية التي تعد تشكيلا من بنى جزئية تتلاحم فيما بينها وهي صور جزئية.

_تعد الصورة التجسيدية من أهم الأنواع التي تندرج ضمن الصورة الشعرية ، وهي الأكثر توظيفا من قبل الشعراء لأن تحسيس المعنوي غالبا ما يخدم مقاصدهم الشعرية ودلالة القصيدة التي يلعب فيها المتلقي الدور الكبير في عملية التنقيب والبحث عنها.

_كما يلعب الرمز الشعري الدور الفعال في بناء صورة رمزية فنية وذلك عن طريق توظيف الشاعر لجملة من الرموز الشعرية وتداخلها الفني مع اللغة والانزياح وهذا ما رأيناه في ديوان الشاعر أحمد حمدي.

الهـوامـش:

1_ عبد الإله الصائغ: دلالة المكان ف قصيدة النثر" بياض اليقين" لأمين أسبر أنموذجا، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، سوريا 1999، ص 83.

2_ رجاء عيد: لغة الشعر قراءة في الشعر العربي المعاصر، منشأة المعارف جلال خيري وشركائه، مصر، 81.

3_ المرجع نفسه: ص 70.

4_ ينظر: عبد الحميد هيمة: الصورة الفنية في الخطاب الشعري الجزائري: دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2005، ص 59.

5_عبد الواحد العكيلي: الصورة الفنية عند ذي الرمة، دار الصفاء للنشر والتوزيع، الأردن 2010، ص19.

6_ المرجع نفسه: ص 20.

7_ينظر: محمد فتوح: الحداثة الشعرية، دار غريب للنشر والتوزيع، القاهرة 2008، ص320.

8_شفيع السيد: قراءة الشعر وبناء الدلالة،دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة2007،ص 274.

9_ المرجع نفسه: ص 259.

10_ إحسان عباس: فن الشعر، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، الأردن 1996، ص193.

11_ينظر: رابح ملوك: ريشة الشاعر بحث في بنية الصورة الشعرية وأنماطها عند الماغوط، دار ميم للنشر، ط1، الجزائر2008، ص 27.

12_ زكية خليفة مسعود: الصورة الفنية عند ابن المعتز، منشورات جامعة قان يوني بنغازي، ليبيا 1999، ص 21.

13_أحمد الطريسي، النص الشعري بين الرؤيا البيانية و الرؤيا الإشارية، الدار المصرية السعودية، القاهرة 2004، ص 103.

14_ينظر: المرجع نفسه، ص 110.

15_سلمان علوان: البناء الفني في القصيدة الجديدة، عالم الكتب الحديث، ط1، الأردن 2011، ص 73.

16_ ينظر: محمد الصالح خرفي: جماليات المكان في الشعر الجزائري المعاصر،أطروحة لنيل درجة دكتوراه ، كلية الآداب واللغات، جامعة منتوري، قسنطينة2006/2005، ص 342.

17_ينظر: رجاء عيد: لغة الشعر، ص66.

18_ شفيع السيد: قراءة الشعر وبناء الدلالة، ص 259.

19_ أحمد حمدي: الأعمال الشعرية غير الكاملة، سحب الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر2007،ص 20.

20_ المصدر نفسه: ص 21.

21_ المصدر نفسه: ص22.

22_المصدر نفسه: ص 31.